دراسة القرآن الكريم في شبه القارة الهندية

(بين عرض وتقدير)

د. محمد نجم الحق الندوي★

Abstract:

"It is determined matter that Qur'an is the last heavenly revealed book, revealed upon the Prophet Muhammad(ﷺ) for the guidance of mankind. The Muslims acknowledge that the Qur'an is the sacred manifesto from the very beginning of its revaluation; they recite the verses of Qur'an accordingly and educate the people throughout the world with keen interest. The following article is a comprehensive study regarding the learning and teaching the Holly Qur'an in Sub-Continent. "

من المعلوم أن القرآن الكريم آخر كتاب سماوي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الناس ورشدهم إلى سبيل الله عز وجل واستقبله المسلمون منذ نزوله دستورا لهم ويقدرونه كتابا مقدسا حق تقديره ويتلونه حق تلاوته ويدرسونه في مشارق الأرض ومغاربها بكل رغبة ونشاط ويحفظونه بقدر طاقتهم لأداء الصلوات, ولا يتنزل المسلمون قط عن عظمة القرآن وأحكامه أبدا, ويحاول كل من كانت له صلة بالإسلام أن يحفظ عظمته وقدره بالرغم أن الله سبحانه تعالى وعد بحفظه إلى الأبد في كتابه العزيز ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:9) وهو كتاب وحيد يؤجر بقراءته فقط حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم "من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة فالحسنة بعشر أمثالها, لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف" فلذا أن المسلمين يقرأون القرآن

★ الأستاذ بقسم الدعوة والدراسات الإسلامية مدير معهد اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش.

الكريم ويتلونه حق تلاوته وإن كانوا لا يفهمون معانيه ولا يبلغون إلى مقاصده. وإن تحدث القرآن الكريم عن هدفه ليفهمه حيث قال }إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{ (يوسف:2).

الحاجة إلى دراسة القرآن الكريم

وحينما خرج الإسلام من جزيرة العرب بعد أن استوطن مكانته فيها باستقامة واستقبل الناس الإسلام من مشارق الأرض ومغاربها وحاولوا لدراسة دستوره الإسلامي-القرآن- لأن المسلمين لا يتشرفون إلا بالتدبر في القرآن الكريم حيث قال﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد:24) وكذلك لا يؤمن أحد إلا بعمل أحكام القرآن وتنفيذها في جميع نواحي الحياة حيث قال الله سبحانه وتعالى﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(المائدة:44) فكيف يتدبر القرآن الكريم من لا يفهمه؟ وكيف ينفذ أحكام القرآن الكريم من ليست له أدنى معرفة بأحكامه؟ وكذا أسلم كثير من غير العرب في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم كيف يعملون بأحكامه؟ فواجهوا مشكلة لغوية في دراسة القرآن الكريم فيحتاج المسلمون في دراسة القرآن الكريم إلى ترجمة معانيه وشرح كلماته وتفسيره حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لتعلم اللغة الأجنبية لتبليغ رسالة القرآن إلى الناس جميعا.

وإضافة إلى ذلك أن محاولة لترجمة معاني القرآن الكريم قد تستمر منذ بداية نزول القرآن الكريم حينما خالفه قريش في بداية نزوله واشتدت محاولاتهم ضد القرآن الكريم وبثوا الدعاية ضده وصدوا سبيله ففي مكة المكرمة يسكن وقتذاك بعض من غير العرب كما نعلم من التاريخ أن رجلا من بلاد الفرس يسكن بمكة المكرمة فحينما شاهد أن قريشا قد خالف ضد القرآن الكريم بغير غرض معتد به فيمكن أنه حاول لفهم رسالة القرآن الكريم الذي بذل قريش جهوده لضده ولكن ما استطاع بأن القرآن الكريم لم ينزل في لغته التي يفهمها بل نزل باللغة العربية التي لا يمارسها قط فبالضرورة أنه يحتاج لدراسة القرآن الكريم وفهم رسالته إلى ترجمته في لغته.

وعلاوة لذلك أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من غير العرب الذين تشرفوا بالإسلام في بداية نزول القرآن الكريم فعلى رأسهم سلمان من الفرس وبلال من أرض الحبشة وصهيب من الروم وكلهم في الحقيقة مترجمون للقرآن الكريم لأنهم

يدعون إخوتهم إلى الإسلام ويشرحون رسالة الإسلام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى إخوتهم. ومن محاولاته أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي قد ترجم سورة الفاتحة إلى اللغة الفارسية.

ومن البداهة أن القرآن الكريم وإن نزل بلغة قريش ولكن رسالته كانت عامة إلى الناس جميعا فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يبلغ رسالة القرآن الكريم إلى جميع الناس في آخر حياته بعد فتح مكة فكتب إلى حكام البلاد المتجاورة الرسائل فأرسل الوفود إليهم بالدعوة إلى الإسلام, فذكر ابن سعد "ما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم وفدا إلى قوم إلا وهو مجيد في لغتهم" وكذا روي أن الرسالة التي كتبها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ترجمها عمرو بن أمية إلى لغته الإفريقية, وكذا روي أن دحية الكلبي حينما عرض رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل الروم فأمر الإمبرطور لمترجمه أن يترجمها له. ومعلوم أن الرسائل كلها مبرهنة بآيات القرآن الكريم طبعا فترجمت الآيات إلى مختلف اللغات مع ترجمة الرسائل. فعلم من هذا أن ترجمة القرآن الكريم قد تستمر عمليتها منذ بداية نزوله وإن كانت معظمها شفوية, ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمح لترجمة القرآن الكريم كتابة في بداية الأمر كما لم يسمح لكتابة أحاديثه فروجت أحكام القرآن شفوية وسماعة في المسلمين. فعلم من ذلك أن دراسة القرآن الكريم في شبه القارة الهندية أيضا بترجمته إلى اللغات الهندية التي يتحدث بها الشعب الهندي شفوية وسماعة.

معارضة ترجمة القرآن الكريم

من المعلوم أن الترجمة من أصعب الأعمال ولا يمكن أن يترجم من لغة إلى لغة أخرى كاملة, فبناء عليه أن كثيرا من الأشياء المهمة قد فقدت أصالتها بعد الترجمة على سبيل المثال أن التوراة قد ترجمت من العبرانية إلى اللغة السريانية واليونانية واللاتينية وغيرها في كثير من اللغات الحية لذلك الوقت ففقدت أصالتها ومعلوم لدى الجميع أن توراة اليوم قد تغيرت إصالتها لترجمتها إلى لغات مختلفة فمنعت ترجمة القرآن الكريم في العالم الإسلامي مخافة تغيره مثل الكتب السماوية الأخرى وكان محفوظا باءصالته من كل التغيرات إلى اليوم فلا يسمح لترجمة القرآن الكريم من العربية الأصيلة إلى لغة أخرى, إن منحت لترجمته عامة فيصبح اليوم قرآنا فارسيا وقرآنا إنجلزيا وقرآنا لاتينيا وقرآنا أرديا وقرآنا بنغاليا كما أصبحت التوراة اليوم وطبعا أن النص القرآني لا يترجم إلى لغة أخرى لأن

اللغات قاصرة عن ترجمتها فاختلف العلماء والباحثون قديما وحديثا في جواز ترجمة القرآن الكريم ويسمح أخيرا في ترجمة معاني القرآن الكريم.

محاولة أولية لدراسة القرآن في شبه القارة

قد عرفنا من هذا البحث أن محاولة أولية لدراسة القرآن الكريم في شبه القارة الهندية كانت شفوية لترجمته إلى اللغات المحلية التي يتحدث بها الشعب الهندي كما تستمر منذ بداية نزول القرآن الكريم في جميع لغات المسلمين في العالم من أفواه العلماء والواعظين الذين كانوا يلقون الخطب الدينية في اجتماعات وكان المسلمون يمارسون القرآن الكريم باستماعهم فتقدم علماء شبه القارة الهندية بقيام هذه المسئولية العظيمة وساعدوا المسلمين في دراسة القرآن الكريم وممارسته بلغتهم بصورة الكتابة والطباعة بعد زمان طويل بعد أن منحت الإجازة بترجمته إلى لغة أخرى.

ومن المعروف أن أول ترجمة في شبه القارة الهندية قام بها الإمام الشاه ولي الله الدهلوي (۱۷۰۳م-۱۷۶۲م) باللغة الفارسية وأكمل الشاه ولي الله ترجمته في شهر ديسمبر ۱۷۳۷م وأعد تلميذه الشيخ خواجة محمد أمين عدة نسخ لهذه الترجمة الفارسية سنة ۱۷۴۳م-۱۷۴۴م وأذاع في المسلمين فاستقبلوها بكل رغبة ونشاط. وذكر الشاه ولي الله الدهلوي في مقدمة ترجمته أن عدة ترجمات للقرآن الكريم قد أذيعت في المسلمين قبل إعداد ترجمته بعضها مفصلة وبعضها مختصرة جدا والجميع مملؤ بالأخطاء فأردت أن أترجم القرآن الكريم باللغة الفارسية ولكن من سوء حظنا أن الشاه الدهلوي لم يذكر شيئا من تلك الترجمات ومن أي لغة هي؟. ومن الممكن أن الترجمات التي ذكرها الشاه ولي الله الدهلوي في مقدمته من ضمنها الترجمة السندية التي قام بها الشيخ المخدوم نوح بن نعمة الله الصديقي الهالائي (ت:۹۹۸هـ) في القرن العاشر الهجري، وهي تسبق ترجمة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي بكثير من الزمن فتتشرف اللغة السندية بكونها أول لغة في شبه القارة الهندية التي يترجم إليها القرآن الكريم كاملا على أغلب الظن. مهما يكن من أمر فتبعه في عملية ترجمة القرآن الكريم ابناه الشاه رفيع الدين الدهلوي (۱۷۴۹م-۱۸۱۷م) سنة ۱۷۷۶م وترجم الشاه عبد القادر (۱۷۵۳م-۱۸۲۸م) سنة ۱۷۸۰م في اللغة الأردية.

وعلى طرازهم قد حاول كثير من علماء شبه القارة الهندية في ترجمة القرآن الكريم

لدراسته وممارسته في اللغات الهندية المختلفة ومن أشهرها: "البحر المواج" التي قام بها القاضي شهاب الدين الدولت آبادي و"تفسير جهانكيري" الذي قام به الشيخ نعمة الله (سنة ۱۰۷۲هـ) و"التفسير المرتضوي" الذي قام به الشيخ زين الدين الشيرازي و"التفسير المصطفوي" الذي قام به الشيخ محمد حسن الأمروهي, كما وجدت هناك ثلاث ترجمات للقرآن الكريم إلى اللغات الهندية المحلية قبل القرن الثامن عشر الميلادي وهي: "التفسير الوهابي" الذي قام به المفسر عبد الصمد بن نواب عبد الوهاب خان باللغة الأردية وترجمة باللغة الكجراتية القديمة أعدت سنة ۱۶۹۲م وترجمة أخرى باللغة الأردية أعدت سنة ۱۷۳۷م.

ومن الجدير بالذكر أن عشر ترجمات كاملة للقرآن الكريم باللغة الأردية في القرن الثامن عشر, ومن أشهرها : ترجمة القاضي محمد بن المفتي محمد أعظم السنبهلي (۱۷۱۸م) وترجمة السيد باباقادري بن السيد الشاه محمد يوسف القادري (۱۷۳۴م) وترجمة الشاه مراد الله (۱۱۸۲هـ) وترجمة القاضي السيد نور الحق منعم (ت ۱۸۰۸م) وترجمة الشاه عبد القادر (۱۷۷۶م) وترجمة الشاه رفيع الدين (۱۷۸۰م) ترجمة محمد باقر فضل الله الخير آبادي كما توجد كثير من ترجمات القرآن الكريم في القرن التاسع عشر, ومن أشهرها: ترجمة عبد الله الهجلي (۱۸۲۹م) وترجمة عبد الله السيد (۱۸۲۹م) وترجمة السيد علي مجتهد بن دلدار علي (۱۸۳۶م) وترجمة كرامت علي الجونبوري (۱۸۳۷م) وترجمة أنور علي اللكنوي (۱۸۳۹م) وترجمة السيد صفدر حسين المودودي (۱۸۴۴م وترجمة صبغة الله القاضي بدر الدولة (۱۸۶۰م) وترجمة غلام مهدي واصف (۱۸۶۱م) وترجمة نواب قطب الدين خان بهادر الدهلوي (۱۸۶۶م) وترجمة عبد الغفور خان (۱۸۶۷م) وترجمة محمد هاشم علي (۱۸۶۸م) وترجمة نواب صديق حسن خان القنوجي (۱۸۸۴م) وترجمة السيد محمد علي (۱۸۸۶م) وترجمة أبي محمد إبراهيم بن عبد الحكيم الآروي (۱۸۸۹م) وترجمة الشيخ عبد الحق الحقاني الدهلوي (۱۸۹۹م) وترجمة الأستاذ عاشق إلهي الميرتهي (۱۹۹۰م).

كما نجد كثيرا من ترجمات القرآن الكريم في القرن العشرين, ومن أشهرها:ترجمة مرزا حيرت الدهلوي (۱۹۰۱م) وترجمة الأستاذ وحيد الزمان

(١٩٠٥م) وترجمة أحمد رضا خان البريلوي (١٩١٢م) وترجمة السيد حسن البهاري (١٩١٢م) وترجمة الأستاذ أشرف علي التهانوي (١٩٢٥م) وترجمة الشيخ محمود الحسن الديوبندي (١٩٢٥م) وترجمة الأستاذ أبي الكلام آزاد (١٩٣١م) وترجمة القاضي ثناء الله البانيبتي (١٩٦٢م) وترجمة محمد حنيف الندوي (١٩٦٦م). كما تضاف إليها الترجمات الشهيرة "معارف القرآن" للأستاذ محمد إدريس الكهاندلوي و"معارف القرآن" للمفتي محمد شفيع و"تدبر القرآن" للأستاذ أمين أحسن الإصلاحي و"تفهيم القرآن" للأستاذ أبي الأعلى المودودي.

نشأة المدارس الفكرية بالهند وأثرها في تفسير القرآن الكريم

تأسست في شبه القارة الهندية كثير من المدارس الفكرية التي كانت صلتها بالشعب الهندي المسلم عقيدة وفكرة بجانب المدارس الفقهية والدينية, فهناك توجد مذاهب حنفية وشافعية كما يوجد أهل الحديث ورجال التصوف ورجال التفكير السياسي فكل ينتمي إلى مدرسته الفقهية والفكرية وقاموا بتفسير القرآن الكريم في ضوء مدارسهم الفكرية والفقهية. فتفسير الشيخ أشرف علي التهانوي مثلا يمثل المذهب الصوفي كما يمثل تفسير الأستاذ إدريس الكهاندلوي يمثل المذهب العلمي, ويمثل تفسير المفتي محمد شفيع المذهب الفقهي كما يتخذ تفسير الأستاذ أبي الأعلى المودودي من التفكير السياسي مبدئا ويتجه تفسير الأستاذ أبي الكلام آزاد صوب التنسيق بين الأديان ويقلده الأستاذ وحيد الدين خان في إعداد تفسيره حاليا.

جهود غير المسلمين في دراسة القرآن الكريم بالهند

لم تقتصر دراسة القرآن الكريم في شبه القارة الهندية على الشعب الهندي المسلم, بل وجد عدد من علماء الهندوس الذين أسهموا في هذا المجال بكل رغبة وعظمة, ويقدر من اهتمام الهندوس بترجمة ونشر معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم بأن المنشئ نولكشور صاحب مطبعة نولكشور بلكناؤ الشهيرة التي طبعت مئات من الكتب الإسلامية في الهند, كما كان معروفا باحترامه للقرآن الكريم, وقد طبعت سبعة ترجمات هندية للقرآن الكريم من مطبعته نفسه, وأول ترجمة باللغة الهندية ظهرت في الهند قام بها هندوسي في السند لملك دولة ألور وهو مهروق بن رائق عام ٢٧٠ هـ/٨٨٣م كما يذكر الرحالة بذرك بن شهريار في كتابه "عجائب الهند" , وفي عهد الإمبرطور المغولي أورنكزيب

(١٦٥٨م-١٧٠٧م) ظهرت ترجمة هندية للقرآن الكريم أعدت للأميرة زيب النساء بنت أورنكزيب قام بها رجل هندوسي لم يعرف مترجمها في التاريخ, كما ترجم القرآن الكريم إلى اللغة البنغالية أول مرة عام ١٨٨١م قام بها الداعية البرهمي غريش سندر شين وأعجب بها كثير من العلماء المسلمين لمنطقة بنغال وتحدثوا عنها بحسن مع أن مترجمها أشد عداوة للإسلام والمسلمين وقام بترجمته للدعاية ضد رسالة القرآن الكريم وحاول في تحريفه أيضا.

دراسة في ترجمة غريش سندر شين

من المعلوم أن الترجمة عمل صعب وترجمة القرآن الكريم أصعب جدا اعترف به كل مترجم للقرآن الكريم قديما وحديثا لأن القرآن لن ترجم حرفيا فلذلك لم يمنح لترجمة القرآن الكريم إلى زمان طويل كما ذكرت في هذا البحث تفصيلا, لأن مترجم القرآن يجب عليه أولا الإعداد لها بحصول المهارة الكاملة على اللغة العربية والمعرفة التامة على المصطحات العربية ودراسات مكثفة في علوم القرآن من بلاغة اللغة والأدب ومعرفة السنة النبوية وتاريخ العرب والأمم الأخرى التي كانت صلتها بعلوم القرآن الكريم مباشرة أو غير مباشرة.

وحينما ندرس ترجمات القرآن الكريم لمختلف اللغات والمترجمين بها نجد أن المترجمين أولا استعدوا بالحصول على المهارة اللغوية ومعرفة نصوص القرآن ودراسات مكثفة في تفاسيره ثم أخذوا يترجمون القرآن كما أن الشيخ أبو بكر الجومي (عالم شهير في إفريقيا) بدأ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الهوسية سنة ١٩٧١م بعد دراسته القرآن وتفاسيره ثلاثين سنة وأتم ترجمته في نهاية سنة ١٩٧٩م يعني أنه استطاع أن يتم ترجمته في تسع سنوات وقضى العلامة يوسف علي في عملية ترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية أربعين سنة وقضى محمد بيكتال في ترجمته الإنجليزية عشرين سنة تقريبا وأتم الأستاذ آرتار جون (Arter Jhon) ترجمته الإنجليزية بعد محاولة اثنين عشرين عاما. أما مضيح القرآن-ترجمة القرآن الكريم باللغة الأردية- التي قام بها الشاه عبد القادر أتم ترجمته بعد دراسته القرآن ثلاثين سنة وقضى لهذا الهدف النبيل أربعين سنة من عمره معتكفا.

ومن الحقيقة الثابتة أن المترجم غريش سندر شين ليس بعارف لمعضلات الترجمة

ومشكلاتها فلذا بدأ يترجم القرآن باستعداد قصير وكان يزعم أنه يتم عملية ترجمته في سنة واحدة في اثني عشر جزء ولكنه علم أثناء ترجمته الجزء السادس أن عدد ترجمته إلى تسعة عشر جزء أو عشرين جزء وحينما أطبع الجزء الثاني عشر بلغت ترجمته إلى ثلث القرآن فقط, ومع أنه يرجو بإتمام ترجمته في أربع وعشرين جزء وذلك أيضا خطأ فأخيرا أتم ترجمته في ست وثلاثين جزء في أربع سنوات إلا الربع وكل ذلك لعدم خبرته في مجال الترجمة, ومع ذلك أن ترجمته تشرفت بإتمامها في أقل مدة في تاريخ ترجمة القرآن الكريم فيرجع إليه الفضل لترجمة القرآن في أقل مدة.

ترجمة غريش سندر شين في ضوء آراء النقاد

في الحقيقة أن ترجمة غريش سندر شين أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم باللغة البنغالية كما ذكرت في بداية هذا البحث الضئيل رغم أنه كان غير مسلم ولم يستطع المسلمون ذلك قبله, وهذه الترجمة تتحمل علامة استفهام من عدة اتجاهات:

أ۔ من الفطرة أن الكتب الدينية لا تترجم إلا لأغراض دينية ولإفادة القراء والدراسين أو لشغف المهنة ولكن ترجمته هذه لم تقم بغرض من هذه الأغراض لا لحب القرآن ولا لمساعدة المسلمين في تفهيم القرآن ودراسته بل أنه ترجم القرآن الكريم لأغراض أراد بها الباطل وقام بترجمته لتبليغ الديانة البرهمية ضد دعوة القرآن ورسالته لإبداع الشكوك والشبهات ضد القرآن الكريم في قلوب المسلمين.

ب۔ أنه لم يترجم القرآن الكريم من النص القرآني العربي الأصيل مباشرة لأنه غير مجيد في اللغة العربية وليس بعارف بالمصطلحات العربية ولا خبرة له في علوم القرآن التي كانت صلتها بترجمة القرآن مباشرة أو غير مباشرة فشاهدنا أنه واجه مشكلات كثيرة في ترجمة الكلمات المعضلة للقرآن الكريم فأبقاها عربية أو أورد الكلمات الفارسية أو الأردية من الترجمة الأخرى ضد الكلمات البنغالية كما واجه وليم كيري (William Kerey) مشكلات في محاولة ترجمة القرآن إلى اللغة الإنجلزية باستخدام المصطلحات الإسلامية في عملية ترجمته لأنه ما استطاع أن يترجم جملة قرآنية "إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا الله" لأن فكرة ثلاثية الإله ليست فكرة إسلامية وأنها جزء أساسي من العقيدة المسيحية ومثل تلك المشكلات واجهها غريش سندر شين أيضا في ترجمته, وكذا أنه أخطأ في ترجمة الجنة والنار لأن في الديانة البرهمية -التي من أتباعها المترجم- ليس

الوجود الحقيقي للجنة والنار فيها بل للجنة والنار وجود مزعوم في الديانة البرهمية وترجمهما بعقيدته التي كانت ضد العقيدة الإسلامية وكذا أخطأ في ترجمة كلمة "إله" وكلمة "آلهة" لأنه ترجم الإله بالتذكير والآلهة بالتأنيث, ومعنى الإله لا يذكر ولا يؤنث في العقيدة الإسلامية وأنه ترجم هاتين الكلمتين في ضوء القواعد النحوية وكذا أنه زعم أن الإله يذكر ويؤنث كما في الديانة الهندوسية وذلك لقلة معلوماته في علوم القرآن الكريم التي كانت صلتها مباشرة بترجمة القرآن فأضاف كثيرا في ترجمته جاهلا أو متجاهلا من عقائده الهندوسية والبرهمية التي كانت ضد رسالة القرآن الكريم.

ج۔ من الممكن أنه ترجم القرآن من ترجمة القرآن الكريم الأردية أو الفارسية كما أشرنا إلى أنه كان مجيدا في هاتين اللغتين وكان يعظ ويلقي الخطبات في الحفلات الدينية باللغة الأردية, ويمكن أنه ترجم القرآن من ترجمة الشاه عبد القادر والشاه رفيع الدين الأردية مباشرة مع أنه ليس بمعترف به, إذا لم يكن هكذا فكيف يمكن لأحد أن يترجم القرآن بعد دراسة اللغة العربية ثلاث سنوات فقط مع إعلانه أنه لم يقرأ القرآن ولو لمرة واحدة إلا أثناء ترجمته وأتم ترجمته في أقل من أربع سنوات حيث قضى العلامة يوسف علي أربعين سنة في ترجمته وقضى الشاه عبد القادر أربعين سنة من عمره معتكفا في ترجمة القرآن الكريم.

د۔ أنه استخدم كثيرا من المصطلحات اللغة السنسكريتية في ترجمة القرآن إلى اللغة البنغالية مع أنه كان مجيدا في اللغة البنغالية رغما بعلمه أن قراء ترجمته معظمهم مسلمون طبعا وأن المسلمين في منطقة بنغال لا يتعلمون اللغة السنسكريتية عادة فيواجه القراء في قراءة هذه الترجمة ودراستها مشكلات لغوية أيضا, وإضافة إلى ذلك أن المسلمين يحبون في قراءة ترجمة القرآن بنص القرآن العربي لأن الأجر في قراءة نص القرآن لا في قراءة معانيه وأن ترجمته إلى اللغة البنغالية لسيت مصحوبة بنص القرآن العربي.

ح۔ نعم أن ترجمة غريش سندر شين حمدها كثير من العلماء وأثنى عليها بعض الباحثين أيضا بسبب أنه أول مترجم للقرآن الكامل باللغة البنغالية أو أنه تشرف بترجمة القرآن أول مرة وسبق المسلمين فيها رغم أن المسلمين تخلفوا في هذا الأمر المهم إلى زمان طويل أو أن المسلمين في منطقة بنغال يتشوقون إلى ترجمة القرآن بلغتهم البنغالية لمدة طويلة ويتمنون دراسة القرآن في لغتهم التي يتحدثون بها ويعبرون عما في ضمائرهم وهذه الأمنية قد تحققت بمحاولة رجل غير مسلم, ولكن من سوء الحظ أن الذين حمدوا ترجمته وأثنوا

عليها معظمهم لم يقرأوا هذه الترجمة وأظهروا آراءهم بدون قراءتها أو ما قرأوها بالتدبر على الأقل لأن هذه الترجمة ضرت الإسلام والمسلمين أكثر من نفعها وإفادتها لأن المترجم قد حاول في ترجمته الدعاية ضد الإسلام ورسالة القرآن وأضاف فيها كثيرا من آراءه البرهمية والهندوسية عداوة وأظهر بعض الأفكار المتضادة للقرآن في ترجمته فأظهر بعض الباحثين آراءهم ضد هذه الترجمة وعلى رأسهم السيد فضل الرحمن أنه كتب مقالة قيمة ونشرها في جريدة "أخبار إسلامي" البنغالية وقال فيها صراحة إن المترجم غريش سندر شين لا يستحق له أن يترجم القرآن لأنه ليس مجيدا في اللغة العربية ولا عارفا بمصطلحاتها اللغوية والأدبية ولأنه حاول بث الدعاية في ترجمته ضد القرآن ورسالته عنادا للإسلام والمسلمين وجهلا للمعلومات والمعارف التي كانت لازمة للمترجمين.

وكذا الأستاذ روح الأمين -رئيس جمعية علماء الهند بولاية البنغال الغربية وخريج المدرسة العالية بكلكتة الشهير ومترجم القرآن الكريم باللغة البنغالية- أظهر رأيه ضد هذه الترجمة وأنه أبطل بعض آراء غريش سندر شين في ترجمته لحفظ المسلمين من الأخطاء المضلة لأنه حاول في ترجمة كثير من آيات القرآن أفكاره البرهمية التي اعتقد بها.

رغم هذه الاتجاهات السلبية أن ترجمة غريش سندر شين مهما كانت معضلة قراءتها وغير معتبرة أتها تعد من أهم الإبداعات في أوساط الأدب البنغالي بحيث أنها استطاعت على الشرف الأولي وأن تأخذ مكانتها في بعض الأوساط الأدبية البنغالية في ناحية ونشأت بها الرغبة والإعداد والتحرض بترجمة القرآن الكريم في علماء الإسلام بمنطقة بنغال الذين تخلفوا عن أداء هذه المسئولية الدينية المهمة حتى استطاعوا بتغيير الفكرة القديمة بعدم مباحة ترجمة القرآن واستعد كثير من العلماء لترجمة القرآن بعده وعلى رأسهم الأستاذ نعيم الدين تقدم لترجمة القرآن الكريم بعد سنتين فصدر الجزء الأول لترجمته سنة ١٨٨٧م (سيأتي ذكره تفصيلا) ثم تقدم العالم الكبير عباس علي وقام بترجمة القرآن سنة ١٩٠٥م وتبعه الأستاذ تسليم الدين بترجمة القرآن سنة ١٩٠٧م وتقدم بعده أبو الفضل عبد الكريم وأمثالهم.

وبالجملة أن عملية ترجمة القرآن الكريم التي بدأها غريش سندر شين للدعاية ضد الإسلام والقرآن من نهاية القرن التاسع عشر ومثل تلك المحاولات تستمر حتى اليوم للدعاية ضد القرآن, مهما يكن من أمر أن ترجمته طبعت في ثلاث مجلدات سنة ١٨٨٦م

بعد ذلك قد لاحظ المترجم نفسه لإصحاح ترجمته فأطبع ترجمته المهذبة بعد ثلاث سنوات سنة ١٨٨٩م ثم طبعت بنفس الطبعة المصححة سنة ١٨٩٢م ثم حاول المترجم لتجديد ترجمته سنة ١٩٠٦م فأصدر طبعة سنة ١٨٩٢م بعد تغيير قصير سنة ١٩٠٨م ثم صدرت بالطبعة الرابعة سنة ١٩٣٦م وجميع الطبعات صدرت من كلكتة إلا الجزء الأول الذي صدر سنة ١٨٨١م كان من مطبعة شيربور لحافظة ميمن سنغ الكبرى ببنغلاديش. أما الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م والسادسة سنة ١٩٧٩م فصدرت من مدينة داكا, ومن الجدير بالذكر أن قراء ترجمة غريش سندر شين معظمهم كانوا غير المسلمين وبخاصة بعد ترجمة المسلمين للقرآن أنهم تركوها مهجورة. فنعرض الآن ترجمة الآخرين باللغة البنغالية.

أهم التفاسير الهندية بالعربية والأردية

معروف لدى الجميع أن احتزال كل المعلومات عن التفاسير الهندية في بحث قصير وإنما يحتاج إلى كتاب ضخيم فلا يطمع هذا البحث المتواضع سوى دراسة وتقدير لبعض أهم التفاسير للقرآن الكريم التي قام بها علماء شبه القارة الهندية في بعض اللغات الهندية: العربية والأردية والبنغالية. ومن أشهر ما أثرى به علماء الهند المسلمون في مجال التفسير باللغة العربية: تفسير المهائمي وتفسير البانيبتي, ونرى في الصفحات التالية أبرز ميزاتهما المنهجية.

١- المخدوم المهائمي: أبو الحسن علي علاء الدين بن علي المهائمي الحنفي(٧٧٦هـ-٨٣٥ هـ/١٣٧٤م-١٤٣٢م) من أعلام الهند وعلماء الأحناف الأجلاء ومن كبار الصوفية في عصره, حتى كتب في مقدمة تفسيره أنه تلقى عن الخضر العلم وتعلم وأخذ عنه. وكان مثبتا للتوحيد الوجودي مقتفيا بالشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي, وله مؤلفات كثيرة, ونحن نتحدث هنا عن تفسيره المعنون "تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن" مطبوع في مجلدين بالقاهرة على نفقة المرحوم جمال الدين الوزير البهوبالي, كما طبع على هامش القرآن الكريم في المطبعة المجتبائية بدلهي عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م. لقد اختار المهائمي في إعداد تفسيره منهجا خاصا قصد فيه أساسا إلى بيان ربط الآيات بعضها ببعض وأجاد في ذلك, كما عمد إلى تفسير المتشابه من الآيات بالاعتماد على محكمها دون لجوئه إلى التأويل أو التفسير

بالرأي أو التفسير بالظاهر, وقد تحدث في المقدمة عما قيل في مناهج التفسير بأن المذموم في التفسير جعل الرأي تابعا لدلالة القرآن الكريم, فيفسر على وفقه تقريرا له ويترك ظاهر القرآن الكريم والمحمود جعل الرأي تابعا لدلالة القرآن الكريم, وقيل المنهي تفسير المتشابه لأنه غلو (في زعمه) فيما لا يحتاج إليه.

أما في المحتاج إليه فتفسيره بالرأي مأمور, وأما هو فيرى أن النهي في التفسير محمول على جميع الوجوه المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم, فله مزايد لا تحصى, والممنوع حمله على ظاهره أو على ما يهواه, كما عمد صاحب التفسير إلى استخراج صور الإعجاز من بديع ربط كلمات القرآن الكريم ولوامع آياته, لا مبدل لكلماته ولا معدل في تحقيقاته فكل كلمة سلطان دارها, وكل آية برهان جارها, وأن ماتوهم فيها من التكرار فمن تصور الأنظار العاجزة عن الاستكبار. فكان لا بد من بيان ذلك من خلال تفسير الآيات من غير تأويل ولا تطويل في إضمار المقدمات ولا أبعاد في اعتبار المناسبات, أي أن المفسر لم يأخذ في تفسيره منهج غيره في الرجوع إلى أسباب التنزيل.

٢ـ القاضي ثناء الله البانيبتي: اشتهر القاضي الشيخ محمد ثناء الله البانيبتي النقشبندي الحنفي العثماني المظهري, وله مؤلفات كثيرة في مجالات مختلفة, ونحن نتحدث هنا عن تفسيره المعنون" التفسير المظهري" الذي سماه صاحبه باسم شيخه ميرزا مظهر جان جانان الدهلوي. وكان الشيخ البانيبتي من تلاميذ الشاه ولي الله الدهلوي, وكان الشاه عبد العزيز يسميه "بيهقي العصر". أما التفاسير التي وجدت في زمن البانيبتي فمعظمها من تأليف الشوافع, ومن أهمها تفسير البيضاوي الذي بلغ اختصاره للعبارة حدا جعله أقرب إلى الرموز, ثم إلى المطالب الفقهية التي تطرق إليها البيضاوي وهي مؤسسة على المذهب الشافعي الذي قل أتباعه في الهند. ودعا البانيبتي إلى تأليف تفسير يشرح الألفاظ والعبارات ويوضح المطالب بخصوص الأحكام والعقائد. على أنه لا يتحرج بعض الأحيان من استخدام المصطلحات الصوفية في تفسيره لآية "هدى للمتقين" مثلا, إذ يشرح صلاح القلب لفناء القلب الذي هو أول درجة للولاية.

من أهم ميزات التفسير المظهري المنهجية أنه يرد على المرويات الإسرائيلية التي تطرقت إلى التفسير قديما, ومن أمثال المرويات التي وجدت سبيلها إلى قصة هاروت وماروت, فيرد عليها المفسر وينقد المفسرين الذين يستدلون بها لأي هدف كان: ترغيبا

أو ترهيبا أو للتشويق السري.

كما نصادف عددا من التفاسير الأخرى للهند ألفها أصحابها من منطلقات متنوعة, من أمثال "تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن" للنواب صديق حسن خان القنوجي, وتفسير القرآن وهو الهدى والفرقان" للسيد أحمد خان (مؤسس جامعة عليكرة الإسلامية) وينطلق المفسر في مسيرته منطقا عقليا وماديا ويمثل هذا الاتجاه الذي خالف الجمهور في عدد كبير من المسائل العقدية, ومن أشهرها: قوله أن الوحي إلهي لم يكن باللفظ بل بالمعنى, نزله الله على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وعند جمعه للآيات القرآنية المتعلقة بتعدد الزوجات استخلص منها المنع والاكتفاء بواحدة. وينكر الوجود الحقيقي للجن ويخضع كل الآيات القرآنية التي كانت صلتها به للتأويل. كما يفسر انفلاق البحر في قصة سيدنا موسى عليه السلام إلى ظاهر المد والجزر, ويفسر الغيب بعمليات التحول الباطني للوجود, كما يفسر الإيمان بالاتحاد بمظاهر الوجود التكوينية والتشريعية, وهكذا يفسر الملائكة بجذوة الحياة في المادة كما يفسر السجود بالتحرر ويفسر التقوى بمسايرة دورة التطور....إلخ.

ومن البداهة أن نظرة السيد أحمد خان إلى القرآن الكريم لا تبرأ من بسمة آحادية الجانب, وتحليل الآيات وفاقا لمنطلقات ومعطيات ناقصة ومحدودة, فهي محاولة انحرافية لم تلق القبول من الجماهير حتى في الوسط الجامعي العليكري, سوى من يعدون على الأصابع من حملة لواء مذهب القرآن في الهند من أمثال عبد الله بن عبد الله الجكرالوي وأحمد الدين الأمرتسري, وغلام أحمد برويز في الهند, وأحمد صبحي منصور وإيهاب حسن عبده في العالم العربي.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك تفاسير أخرى معروفة من مآثر الهند من أمثال تفسير "بيان القرآن" للشيخ أشرف علي التهانوي الملقب بحكيم الأمة, وهذا التفسير اهتم بدقائق الاستدلال من بيان التناسق بين الآيات وإيضاح المشكلات القرآنية وحوى مباحث علمية هامة من التفسير والنحو والبلاغة والفقه والكلام والتصوف. كما اشتهر المفتي محمد شفيع بتفسيره "معارف القرآن" وهو من أهم التفاسير الهندية التي نهج بالتفسير منهجا عصريا فأوضح معانيه ومراميه وعالج مشكلات الأمة الإسلامية التي كانت صلتها بحياة المسلمين اليومية مباشرة أو غير مباشرة بما أرشد إليها القرآن الكريم من هداية

وتعاليم ووفق بين القرآن الكريم وما أثبته العلم من نظريات صحيحة.

ومن التفاسير الهندية التي ألفت في العصر الراهن وتم نقلها إلى اللغة العربية أيضا "التذكير القويم في تفسير القرآن الحكيم" الذي قام به الأستاذ وحيد الدين خان على منهج تفسيري "المنار" و "الظلال", ويبدأ المفسر بمعاني الكلمات ثم يخوض في شرح الآيات بأسلوب أدبي, ومع ذلك لا يهتم بمباحث النحو ولا بمسائل الفقه ولا بالقراءات ولا أي شيء آخر. والغرض الرئيسي من هذا التفسير هو التذكير والموعظة, جنب مسايرة الركب الفكري القائل بالتعايش الديني في بلد متعدد الديانات.

إن جهود علماء شبه القارة الهندية في تفسير القرآن الكريم باللغة العربية وباللغات الهندية المختلفة وبوجه أخص باللغة الأردية وترجمة معانيه إلى اللغة الأردية تتصدر أعمال المسيرة العلمية الإسلامية في شبه القارة الهندية, ولها أهمية بالغة لموقع المسلمين السياسي والثقافي والحضاري طيلة قرون, وفي سياق بعض الحركات الدعوية التي لم تخل أرباعها المعمورة من أثرها في القرن العشرين. ومن أهم ما يستنتج من معالجة الموضوع في هذا البحث في سياق كمية الإسهام ونوعيته والمناهج المستخدمة فيها يمكن اختزالها في التالي:

١ـ تفاقم الحجم الزمني: من فتح العربي للسند (٩٣ هـ) حتى العصر المغولي (٩٣٣ هـ-١٢٧٣ هـ) والعصر الحديث.

٢ـ تفاقم الحجم الجغرافي: شبه القارة الهندية (الهند وباكستان وبنغلاديش).

٣ـ عدد كبير من التفاسير الكاملة والتي لم تكتمل بالعربية والأردية والبنغالية.

٤ـ عدد كبير من التفاسير باللغة الأردية.

٥ـ عدد كبير جدا من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية.

٦ـ تعددية جهات التأليف: المسلمون والهندوس والمسيحيون.

٧ـ التعددية المنهجية في التفسير: التفسير الصوفي والدعوي والسياسي والفقهي والفكري والأدبي (سواطع الإلهام للفيضي مثلا الذي فسر القرآن الكريم بصنعة مهملة أي غير منقوطة) وسواه.

٨ـ التعددية المنهجية في الترجمة: الترجمة الحرفية والعلمية والأدبية.

٩ـ أهمية أعمال علماء شبه القارة الهندية في التفسير والترجمة في سياق موقع اللغة

العربية في الهند وأثر مفسري الهند الفكري والدعوي على الصعيد الهندي المحلي والعالمي.

❖❖❖

الهوامش

۱۔ رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود.

۲۔ (LeidenShorter Encyclopaedia of Islam):1960( )500-pp-501.

۳۔ السرخسي, كتاب المبسوط, (بيروت: ۱۹۷۹م) المجلد : ۱, ص:۳۷/ الزرقاني, مناهل العرفان, الجزء: ۲, ص ۵۱۔۵۲

۴۔ ابن حجر العسقلاني, الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة: ۱۹۱۰م) ص: ۵۶۱/محمد أحمد السنبطي: ترجمة المعاني القرآنية, (قطر دون تاريخ) ص ۸۶۔۸۷

۵۔ رواه البخاري في صحيحه, الجزء: ۳, ص ۲۱۵

۶۔ ابن حجر العسقلاني, فتح الباري, (القاهرة: ۱۴۳۸ الجرية) الجزء: ۶, ص ۸۱

۷۔ الشاه ولي الله الدهلوي, مقدمة فتح الرحمن في ترجمة القرآن "القرآن المجيد مع ترجمة وتفسير لعبد الله بن عباس" (مطبعة هاشمية, ميرت: ۱۲۹۲ الهجرية, ص ۱

۸۔ من أعلام بلاد السند، ولد في 911هـ، توفي ليلة الخميس في 998/11/27هـ، وترجمته للقرآن الكريم مطبوعة بعناية ومقدمة العلامة غلام مصطفى القاسمي في حيدرآباد السند، وانظر لترجمته: تحفة الكرام ص ۳۸۳۔۳۸۵، تذكرة مشاهير السند ۲/۱۔۷، جنة السند ص ۴۲۸

۹۔ حجة الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (۱۱۱۴۔۱۱۷۶هـ)، علم شهرته تغني عن التعريف به راجع لترجمته: نزهة الخواطر ۶/۴۱۰۔۴۲۸، والأعلام ۱/۱۴۹ وفيه ولادته في ۱۱۱۰هـ.

۱۰۔ الدكتور محمد نجم الحق الندوي, ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الهندية: دراسة تاريخية وتحليلية, مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية, جامعة إفريقية العالمية بالسودان, العدد: ۱۹, سنة ۲۰۱۳م.

۱۱۔ بذرك بن شهريار الناخداه الرامهرمرزي"كتاب عجائب الهند" تحقيق: فان درليث, ليدن,سنة ۱۸۸۶م,ص ۲۔۴

۱۲۔ الدكتور محمد نجم الحق الندوي, ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البنغالية, مجلة ثقافة الهند, المركز العربي-الهندي, بالجامعة الملية الإسلامية بالهند, المجلد:60, العدد:۳,سنة ۲۰۱۱م.

۱۳۔ Khan,"Translation of the Qur'an in the African Language"Op.cit

۱۴۔ Khan,"English translation of the Qur'an"Op.cit .

۱۵۔ محمدشفیع "تفسیر معارف القرآن" بالبنغالیة (داکا-۱۹۸۰م) الجزء-۱, ص ۵۵

۱۶۔ في الحقيقة أنه أتم عملية ترجمته في ست وثلاثين جزء ولكن الأجزاء العشرة الأخيرة طبعت جزأين جزأين فلذا يبلغ عدد أجزاء ترجمته إلى تسع وعشرين جزء.

۱۷۔ غريش سندرشين, القرآن-2(نص بنغالي), مطبعة الحروف, داكا: ۱۹۷۹م,ص ۹

۱۸۔ غريش سندرشين, القرآن-4(نص بنغالي), مطبعة الحروف, داكا: ۱۹۷۹م,ص ۲۹

۱۹۔ أبو الفضل محمد فضل الرحمن " دراسة تقدية في ترجمة القرآن بالبنغالية" " أخبار إسلامية" (جريدة شهرية) العدد-۵, سنة ۱۸۸۸م,ص ۱۴۴۔۱۵۵

۲۰۔ المرجع السابق.

۲۱۔ محمد روح الأمين, قرآن شريف مع الترجمة البنغالية الصحيحة (نص بنغالي) مقدمة الجزء الأخير, كلكتة-۱۹۲۵م.

۲۲۔ المرجع السابق.

۲۳۔ عبد الحي الحسني, الإعلام بمن في الهند من الأعلام, ۱۰۵/۳, انظر للتفصيل: كوثر صديق أحمد حمدون, التفسير الإشاري عند الإمام المهائمي من خلال كتابه " تبصير الرحمن وتيسير المنان" رسالة ماجستير (مخطوطة) لكلية أصول الدين بجامعة أم درمان بالسودان, سنة ۱۹۹۹م.

۲۴۔ عزيز أحمد مجيب الله القاسمي الهندي قد تقدم برسالته لدرجة الدكتوراه بعنوان "منهج البانيبتي في تفسيره" بقسم القرآن وعلومه, لجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

۲۵۔ تفسير "تفهيم القرآن ومنهج المودودي فيه" تأليف: محمد مطيع الإسلام علي, رسالة ماجستير لجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض, سنة ۱۴۱۲هـ.

۲۶۔ المودودي,تفهيم القرآن,سورة الأحزاب.

۲۷۔ وحيد أختر, "السيد أحمد خان ورؤيته الدينية" مجلة "ثقافة الهند" المركز العربي-الهندي,بالجامعة الملية الإسلامية بالهند,المجلد:۴۲,العدد:۳

۲۸۔ يقال إن هذا العمل غير مسبوق إليه في العالم العربي كما ذكر زبيد أحمد وهذا غير صحيح, فهناك درر الأسرار لسيد محمود آفندي الدمشقي بهذه الصنعة, وطبع تفسيره من قسطنطينية عام ۱۲۲۴ هـ. انظر رأي زبيد أحمد في كتابه:

Zubaid Ahmad, The Contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature. 1st Edition Lahore: Shaikh Muhammad Ashraf,1946,P223.

❖❖❖